مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 37، العدد (2)، ص ص17 - 45، الرياض (2025م/ 1446هـ)

عدم الرحلة عند المحدثين «أسبابها وآثارها»

ياسر بن عبد الله السلمان[1]

جامعة القصيم

(قدم للنشر في 11/ 05/ 1447هـ؛ وقبل للنشر في 08/ 07/ 1447هـ)

المستخلص: تُعد الرحلة عند المحدثين أمرًا أساسيًّا فهي شعارهم، وقد ضربوا أروع الأمثلة في علوّ الهمة، وسموّ القصد، مستسهلين الصعاب، ومتجاوزين العقبات، ومستشعرين عبودية السياحة في طلب العلم، ويهدف هذا البحث إلى استعراض مكانة الرحلة عند المحدثين، والأسباب التي حالت دون الرحلة عند بعضهم، وما نتج عن ذلك من الآثار السلبية في الراوي أو روايته، وسلكَ الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي والتحليلي، وكان من أبرز النتائج أن الرحلة من أسباب التفاضل بين الرواة، كما أنّ جرح المحدث الراحل وتعديله لغيره له مكانة عظيمة خاصة في سياق المقارنات؛ لكونه التقى بجمع كبير من الرواة، وأوصت الدراسة بالوقوف على كل سبب من أسباب عدم الرحلة، وبحثِه بحثًا مستقلًّا؛ خاصة الأسباب السياسية والأمنية بحيث يستعرض الباحث الفتن التي مرت بها الأمة في عصر الرواية، وبيان تأثيرها في الراوي.

الكلمات المِفتاحية: الرحلة عند المحدثين، أسباب عدم الرحلة، رحلات المحدثين، آثار عدم الرحلة.

The Lack of Travel among Hadith Scholars "As well as its Reasons & Effects"

Yasser bin Abdullah Al Salman[1]

Qassim University

(Received 02/11/2025; accepted for publication 28/12/2025.)

Abstract: Travel was fundamental to hadith scholars; because it was their logo. They introduced the finest examples of high ambition and noble purpose, overcoming barriers and obstacles, and identified the servitude inherent for the purpose of knowledge. This research aims to detect the importance of travel among hadith scholars, the reasons that prevented some of them from traveling, and the arising negative effects on the narrator or their narrations. The researcher applied an inductive and analytical approach. The most prominent findings concluded that travel was a factor in distinguishing between narrators. However, the criticism and praise of a traveling hadith scholar by others held significant weight, especially in the context of comparisons, given their encounters with a large number of narrators. The study recommends more investigation into each of the reasons for the absence of travel. The reasons for the absence of travel, and its independent investigation, particularly the political and security reasons, will be detected by the researcher, who will review the tribulations that befell the Muslim community during the era of hadith transmission and interpret their impact on the narrators.

Keywords: Travel among hadith scholars, lack of traveling, Travels of hadith scholars, Effects of not traveling.

---

(1) الأستاذ المشارك في قسم السنة وعلومها بكلية الشريعة في جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: yslman@qu.edu.sa

(1) Associate Professor, Department of Sunnah and its Sciences at College of Sharia, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail: yslman@qu.edu.sa

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه؛ وبعد:

فإن الرحلة في طلب الحديث شعار المحدثين، وتُعد صورة واضحة للجهد الذي بذله المحدثون والنقَلة والكبَد الذي عانَوه في تتبُّع سنة النبي ﷺ وجمعها وتدوينها وكشف الزيف والغش الواقع فيها، فتلك الرحلات العظيمة برهان صدق، وشهادة حق على صدق وإخلاص أولئك القوم؛ عليهم رحمات الله، فقد يرحل الواحد منهم لسماع حديث واحد، بل لسماع حديث عنده يريد أن يتثبّت فيه ويعلو بإسناده، وقد ضربوا أروع الأمثلة في علو الهمة، وسمو القصد، مستسهلين الصعاب، ومتجاوزين العقبات، ومستشعرين عبودية السياحة في طلب العلم، وفي هذا البحث إطلالة يسيرة على الجهود العظيمة التي بذلها حماة الدين ونقلة السنة؛ وقد خص الخطيب -كعادته- هذا الموضوع بمؤلَّف سمّاه «الرحلة في طلب الحديث»، ولو أن الكتابة في فن الرحلات نشأت مع أولئك المحدِّثين لرأيت العجب العُجاب من القصص والفوائد والفرائد، فقد كانت الرحلة من أساسيات المحدِّث خاصة بعد انتشار مجالس التحديث إلا أن جمعًا من الرواة لم يتمكنوا من الرحلة لأسباب، وربما كانوا يتقطعون أسفًا وحسرة على عدم الرحلة، وهذا البحث جاء لبيان هذه الأسباب وآثارها في الراوي.

المشكلة البحثية:

تكمن مشكلة البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماذا تعني الرحلة عند المحدِّثين؟

2- ما أسباب عدم الرحلة عند بعض المحدثين؟

3- ما الآثار المترتبة على عدم الرحلة؟

أهداف البحث:

1- بيان مكانة الرحلة عند المحدثين.

2- معرفة الأسباب التي حالت دون رحلة بعض المحدثين.

3- الاطلاع على الآثار المترتبة على عدم الرحلة.

حدود البحث:

يركز هذا البحث على المحدثين الذين كانوا في عصر الرواية خاصة بعد انتشار مجالس التحديث؛ حيث كانت للرحلة أهميتها من حيث التثبُّت من المنقول، والتأكد من السماعات، والعلو في الإسناد، وأستأنس أحيانًا بمحدثي ما بعد عصر الرواية من باب توضيح فكرة، أو ضرب مثال.

المنهج والإجراءات:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال النظر في كتب الرجال، وخاصة كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي، لكونه ممن يهتم بهذا الجانب، ثم محاولة الوقوف على المحدِّثين الذين لم يرحلوا مطلقًا، أو كانت رحلتهم محدودة في حدود مِصرهم الذي يقطنونه، وتحليل أسباب ذلك؛ إما من خلال تنصيص المترجم لذلك، أو استنتاج الباحث، ثم بيان أثر عدم الرحلة في الراوي.

أما إجراءات البحث، فبعد إحصاء هؤلاء الرواة جرى النظر في هذه الأسباب، وتقسيمها إلى أربعة أسباب؛ وبيانها في الخطة.

الدراسات السابقة:

وقفتُ على عدد من البحوث في الرحلة في طلب الحديث عمومًا:

1- الرحلة في طلب الحديث، د. عزية علي طه، نُشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، العدد 152، عام 1983م، عرضتْ فيه الباحثة -رحمها الله- نشأة الرحلة وبداياتها، وأهدافها ونتائجها، ونماذج من معاناة المحدثين وصبرهم على مشاق الرحلة، والرد على المستشرق مارغليوث في التقليل من شأن الرحلة.

2- الرحلة في طلب الحديث، د. فاضل إسماعيل خليل، نشر في مجلة آداب البصرة، العدد 38، عام 2005م، عرض فيه الباحث تاريخ الرحلة وبواعثها، وفوائدها وآدابها وتدوين الرحلات، وعرض نماذج لرحلات المحدّثين.

3- الرحلة عند المحدثين، ورواية الدارَقُطْني عن مشايخ الأمصار في كتاب السنن، د. محمد سراج الدين قحطان، نشر في مجلة الجامعة العراقية، العدد (36/ 3) عام 2015م، وجاء في مبحثَين: الأول في معنى الرحلة ومفهومها، والثاني في ذكر الأمصار التي رحل إليها الدارقطني واستعراض شيوخه فيها.

وبالنظر في موضوعات هذه البحوث يتبين أن بحثي هذا لا يتقاطع معها إلا فيما لا بد منه من بيان أهمية الرحلة ومكانتها، أما أسباب عدم الرحلة، وأثر ذلك فلم تتعرض له تلك البحوث.

الخطة البحثية:

وتشتمل على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثَبَت المصادر والمراجع.

- **المقدمة:** وفيها أهداف البحث، ومنهجه، وحدوده، وإجراءاته، والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول: مكانة الرحلة عند المحدِّثين.**
- **المبحث الثاني: أسباب عدم الرحلة عند المحدثين، وتحته أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: الأسباب المالية.
  - المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية.
  - المطلب الثالث: الأسباب المكانية.
  - المطلب الرابع: الأسباب السياسية والأمنية.
- **المبحث الثالث: الآثار المترتبة على عدم الرحلة، وتحته ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: فوات عدد من الأحاديث أو الأسانيد.
  - المطلب الثاني: عدم شهرة الراوي غالبًا، وربما جهالته.
  - المطلب الثالث: نزول الراوي في أسانيده.
- **الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.**

* * *

المبحث الأول

مكانة الرحلة عند المحدثين

كانت الرحلة شعار المحدثين، وتكاد تكون من أساسيات المحدث، فقلّ محدث معروف إلا وقد ارتحل في طلب الحديث، خاصة بعد انتشار الرواية، وتعدد مجالس السماع؛ لذا تجد أهل التراجم -كالذهبي- عندما يترجمون لأحدهم يذكرون أنه لم يرحل، وهذا يدل على أن الرحلة هي الأصل، وكأن هذا خارج عن الأصل، ومما يؤكد أهمية الرحلة توارد الأئمة في التأكيد عليها وبيان آثارها المحمودة، وقبل ذلك إشارة القرآن والسنة إليها؛ فقد ذكر الله قصة موسى وفتاه يوشع بن نون مع الخَضِر عليه السلام، والرحلة إليه للأخذ من علمه الذي علمه الله إياه، وفي إشارة أخرى قال يزيد بن هارون لحماد بن زيد: «يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ قال: نعم، ألم تسمع إلى قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 122]، فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه، ورجع به إلى من وراءه فعلَّمه إياه»[1]، وفي السنة قول نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «... ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة»[2]، فهذا السلوك يشمل السلوك الحسي والمعنوي؛ لذا قال كثير بن قيس: «قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء، وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: أمَا جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا، قال: ما جئتَ إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة...»[3]، وقد رحل جمع من الصحابة والتابعين في طلب العلم والحديث، والآثار القولية والفعلية في هذا الباب كثيرة؛ فمن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «... لو أعلم أحدًا أعلمَ بكتاب الله مني تبلغني الإبل إليه لأتيته»[4]، ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما في الشام مسيرةَ شهر لأجل حديث واحد[5]، ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى عقبة بن عامر في مصر، وقال له عقبة: «ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحد سمعه غيري وغيرك...»[6].

وقد قال عمرو بن أبي سلمة للأوزاعي: «أنا ألزمك منذ أربعة أيام، ولم أسمع منك إلا ثلاثين حديثًا. قال: وتستقل ثلاثين حديثًا في أربعة أيام! لقد سار (أبو أيوب) إلى مصر، واشترى راحلة وركبها حتى سأل عقبة بن عامر عن حديث واحد وانصرف، وأنت تستقل ثلاثين حديثًا في

(1) الرحلة في طلب الحديث، للخطيب (87).

(2) مسلم (2699) في أثناء حديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) أبو داود (3641)، والترمذي (2682)، وابن ماجه (223)، وابن حبان في صحيحه (88)، وفي إسناده اختلاف.

(4) الرحلة في طلب الحديث للخطيب (95).

(5) صحيح البخاري (1/ 26)، والرحلة (31).

(6) مسند الحميدي (384)، وينظر: مصنف عبد الرزاق (18936)، ومسند أحمد (17391) (17454).

أربعة أيام!»[7]، وقال أبو قلابة البصري: «لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام، ما لي حاجة إلا رجل عنده حديث يقدم فأسمعه منه»[8]، وقال أبو العالية الرياحي البصري: «كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم»[9]، وقال سعيد بن المسيّب المدني: «إن كنت لأغيب الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[10]، وهشيم بن بشير الواسطي ثم البصري يقول: «كنت أكون بأحد المصرَين -يعني البصرة والكوفة- فيبلُغني أن بالمصر الآخر حديثًا، فأرحل فيه حتى أسمعه وأرجع»[11] بل إن الخطيب رحمه الله بنى كتابه «الرحلة في طلب الحديث» على من رحل في طلب حديث واحد، وبوّب في كتابه الجامع بابًا فيمن رحل في حديث واحد[12]، ولا بد من التذكير بمثل هذه الرحلات؛ ففي ظل ما أنعم الله به علينا من الوسائل المادية والبرامج التقنية قد يصعُب على الإنسان أن يتصوّر أن هناك من المحدثين من يقطع الفيافي ويفارق الديار لأجل حديث واحد! فأيُّ علوٍّ للهمة، وأيُّ نصح للأمّة، من أولئك القوم؟! عليهم رحمات الله ورضوانه؟ فإذا كان هذا في الحديث الواحد فكيف إذا كانت الرحلة لأجل أحاديث، وعلى جمعٍ من الشيوخ؟! وإذا كانت الرحلة مستحبة في طلب الأسانيد العالية فكيف بأحاديث جديدة يسمعها المحدث لأول مرة؟! ومن عبارات الأئمة في ذلك: ما قاله الإمام أحمد حين سأله ابنه عبد الله: «هل ترى لطالب العلم أن يلزم رجلًا عنده علم فيكتب عنه، أو يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع فيها؟ قال: يرحل فيكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكة، يُشامُّ الناس، يسمع منهم»[13]، ولم يزل السلف والخلف من الأئمة يعتنون بالرحلة، فبها يتبيّن حرصهم على العلم، وهي سبب لشهرة المحدث وزوال الجهالة عنه، فبالرحلة تكثر أحاديثه وشيوخه، بل الرحلة أحد أسباب التفاضل بين الثقات، فيُقدمون من رحل على غيره، ولما قارن الذهبي بين أبي موسى الزمن البصري وبندار قال: «وكان -أي الزمن- أرجح من بندار وأحفظ لأنه رحل وبندار لم يرحل»[14]،

(7) الرحلة (144)، ووقع مكان أبي أيوب جابر بن عبد الله، والصواب أنه أبو أيوب ينظر: الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب (1/ 64)، وتنظر: الحاشية السابقة.

(8) الرحلة (145).

(9) الرحلة (93).

(10) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (2/ 226).

(11) الرحلة (155).

(12) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 227).

(13) الرحلة (88) ومعنى يشام الناس أي: يختبرهم وينظر ما عندهم، يقال شامت فلانًا إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف. ينظر: النهاية (2/ 502)، ومن ذلك قول مسروق بن الأجدع رحمه الله: «شامت أصحاب محمد ﷺ، فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر منهم عمر وعلي وعبد الله وأبو الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شامت هؤلاء الستة، فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم إلى علي وعبد الله» علل ابن المديني (ص42)، والجرح والتعديل (7/ 27).

(14) تاريخ الإسلام (6/ 193).

ويفضلون واسع الرحلة على محدودها، ولما وازن الذهبي بين الأحمدين -ابن حنبل، وابن صالح المصري- قال: «وشتان ما بين الأحمدين في سعة الرحلة، وكثرة المشايخ والجلالة والفضل»[15]. وصاحب الرحلة خاصة إذا كان كثير الترحال لا يُستغرب منه الإغراب والتفرد في بعض الأحاديث، مما يجعل أقرانه بل شيوخه يسمعون منه إذا رجع إلى بلده، وربما تصدر وهو حدَث، فسفيان بن عيينة رحل إلى الحجاز في صغره ولازم عمرو بن دينار المكي وابن شهاب الزهري المدني، ولما رجع إلى بلده الكوفة حدّث بما سمع، وقال: «أول من أسندني إلى الأسطوانة مسعر بن كدام، فقلت: إني حدَث، فقال: إن عندك الزهري وعمرو بن دينار»[16]. وقال وكيع: «كتبنا عن سفيان بن عيينة، والأعمش حي»[17]، ولما استأذن أبو علي النيسابوري شيخه ابن خزيمة في الرحلة إلى العراق قال ابن خزيمة: «توحشنا مفارقتك يا أبا علي، فقد رحلتَ وأدركتَ العوالي، وتقدمتَ في الحفظ، ولنا فيك فائدة»[18]. فصاحب الرحلة سيرجع إلى بلده حاملًا الكنوز العظيمة والفوائد والفرائد التي لا توجد عند أهل بلده، فيحمل معه رواية كتب وأجزاء ومصنفات لم تكن في بلده؛ فهذا أبو علي بن السكن المصري الحافظ رحل إلى خراسان وسمع من الفَربري صحيح البخاري، فكان أول من جلب الصحيح إلى مصر، وحدث به[19]، فصاحب الرحلة يقف على أسانيد وأحاديث وكتب وأجزاء لا يقف عليها من لم يرحل.

وربما أخذوا معهم في رحلاتهم أبناءهم الصغار ليدركوا السماع من الشيوخ، وتعلو أسانيدهم بذلك.

وتتابع المصنفون في المصطلح على بيان أهمية الرحلة وعظم فائدتها، كالحاكم[20]، والرامهرمزي[21]، والخطيب[22] -كعادته في إفراده بعض الموضوعات بالتأليف، فقد ألف فيه كتاب «الرحلة في طلب الحديث»- ثم ابن الصلاح[23] ومن سار بسيره.

ومما يبين أهميتها أن بعض أهل العلم استحب الرحلة لطلب الأسانيد العالية؛ قيل للإمام أحمد: «أيرحل الرجل في طلب العلوّ؟ فقال: بلى والله شديدًا، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر فلا يقنعهما حتى يخرجا إليه فيسمعانه منه»[24]. وقد منع بعضهم التحمل عن طريق الإجازة؛ لأن في ركونهم إلى الإجازة انقطاعًا عن الرحلة فقد يُجيزك الشيخ بمروياته وأنت في بلدك، لكن

(15) السير (12/ 162).

(16) تاريخ بغداد (10/ 247).

(17) تاريخ بغداد (10/ 247)، وروى عنه قيس بن الربيع وكان أكبر منه، فكان يقول: «حدثنا أبو محمد الهلالي» وهو سفيان بن عيينة.

(18) السير (16/ 56).

(19) السير (16/ 117).

(20) معرفة علوم الحديث في النوع الأول طلب عالي الإسناد (5).

(21) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (216).

(22) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 223).

(23) معرفة علوم الحديث لابن الصلاح (246).

(24) معرفة علوم الحديث لابن الصلاح (247)

حين النظر في هذين الأمرين -بطلان الرحلة، وبطلان الإجازة- نجد أن الثاني أشد مفسدة، فالرحلة غالبًا لمن كانت عنده إجازة وسيلة لا غاية؛ ولذا لما قيل للإمام أحمد: «لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة؛ قال: لو بطلت الإجازة لذهب العلم وضاعت الكتبُ المنزلة وغير المنزلة»[25]؛ وتوسط بعضهم فسوّغ الإجازة لمن كان له في القعود عن الرحلة عذرٌ من قصور نفقةٍ، أو بُعد مسافة، أو صعوبة مسلك، أو حاجة أهل أو غير ذلك، على أن أهل الحديث خاصة المتقدمين منهم ما كانوا يرضون إلا بالرحلة والسماع واللقاء ومقابلة الشيوخ.

والحديث هنا عن رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فتحمَّلوا المشاقّ، وفارقوا الأوطان، وكابدوا الأهوال، وركبوا الأخطار، وكانت الرحلة قطعة من العذاب، لكنهم استسهلوها خدمة للدين وتدوينًا ودفاعًا عن سنة سيد المرسلين -عليه الصلاة والسلام-. وبذا تعلم أن الله -سبحانه- بحكمته اختار لحفظ سنة نبيه عليه الصلاة والسلام -التي بحفظها يُحفظ القرآن؛ إذ لا تتم معرفة معانيه وتفاصيل أحكامه إلا بالسنة- رجالًا عدولًا أمناء نذروا أنفسهم لخدمة الدين وتبليغ السنة، وقد وصف منصور بن عمار الواعظ (ت 200 تقريبًا) أهل الحديث في رحلاتهم وصفًا يعيش معه الإنسان حالة القوم بين لذة الهدف وشدة النصَب[26].

وساروا مسير الشمس في جمْع علمه ❋
فأوطانُهمْ أضحت لهم غيرَ أوطان

وتأمّل مثلًا خطة السير لرحلةٍ واحدةٍ من رحلات عالم من علماء النقد والحديث، وكانت سيرًا بالأقدام لتعرف مدى الكَبَد والمعاناة والجهاد الذي يجدونه في حفظ السنة، فهذا الإمام أبو حاتم الرازي (ت277) يقول رحمه الله: «أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى لّما زاد على ألف فرسخ تركته (أي الإحصاء)»، ثم ذكر البلاد التي دخلها، ثم قال: «كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين، خرجتُ من الري سنة ثلاث عشرة ومائتين... ورجعت سنة إحدى وعشرين ومائتين»[27].

ومما عاناه في إحدى رحلاته ما ذكره ابنه عبد الرحمن حين ترجم لوالده تحت باب ما لقي أبي من المقاساة في طلب

(25) النكت للزركشي (3/ 504)، (3/ 508-510)، وينظر مباحث الإجازة في كتب المصطلح، ومأخذ العلم لابن فارس (40) والوجيز في ذكر المجاز والمجيز للسلفي (57). وقد يرحل لكن بركونه إلى الإجازة لا يهتم كثيرًا بالسماع من الشيخ أو يسمع بعض الكتاب اتكالًا على الإجازة، وقد سئل الإمام مالك عن الرجل يقول له العالم: «هذا كتابي فاحمله عني، وحدِّث بما فيه عني؟ قال: لا أرى هذا يجوز، ولا يعجبني، لأن هؤلاء إنما يريدون الحمل الكثير بالإقامة اليسيرة؛ فلا يعجبني ذلك» ينظر: التسوية بين حدثنا وأخبرنا، للطحاوي (10).

(26) ينظر: المحدث الفاصل (220).

(27) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1/ 359)، والفرسخ الواحد يُساوي خمسة كيلومترات ونصفًا تقريبًا.

العلم من الشدة، قال أبو حاتم رحمه الله: «لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار[28] وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفسٍ؛ أبو زهير المروروذي شيخ، وآخر نيسابوري، فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا وفني ما كان معنا من الزاد وبقيت بقية، فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أيامًا على البر حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة لم يأكل أحدٌ منا شيئًا ولا شربنا، واليوم الثاني كمثل، واليوم الثالث، كل يوم نمشي إلى الليل، فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ مغشيًّا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه، ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين، فضعفتُ وسقطتُ مغشيًّا عليّ، ومضى صاحبي وتركني، فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قومًا قد قرَّبوا سفينتهم من البر... فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم، فجاؤوه معهم الماء في إداوة فسقَوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيا عليهم؛ فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني فقلت: اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا فشربت ورجعتْ إليّ نفسي، ولم يرْوِني ذلك القدرُ، فقلت: اسقني فسقاني شيئًا يسيرًا وأخذ بيدي فقلت: ورائي شيخ ملقًى، قال: قد ذهب إلى ذاك جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجُر رجلي ويسقيني شيئًا بعد شيء حتى إذا بلغتُ إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ وأحسنوا إلينا أهل السفينة، فبقينا أيامًا حتى رجعت إلينا أنفسنا...»[29].

وفي موضع آخر يقول: «كنا في البحر فاحتلمتُ فأصبحتُ وأخبرتُ أصحابي بذلك فقالوا لي: اغمس نفسك في البحر، قلت: إني لا أحسن أن أسبح، فقالوا: إنا نشد فيك حبلًا ونعلقك من الماء، فشدوا فيَّ حبلًا وأرسلوني في الماء وأنا في الهواء أريد إسباغ الوضوء، فلما توضأت قلت لهم: أرسِلوني قليلًا فأرسَلوني، فغمست نفسي في الماء، قلت: ارفعوني، فرفعوني»[30].

كما أن رحلات المحدثين، وتتبعهم الطرق والأسانيد يؤكد أهمية الإسناد، وخاصة الإسناد المتصل السالم من العيوب والانقطاع، قال الخطيب موضحًا ذلك: «ولو كان حكم المتصل والمرسل واحدًا، لما ارتحل كتَبة الحديث، وتكلفوا مشاقّ الأسفار إلى ما بعُد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق... فلو كان

(28) ميناء على ساحل البحر الأحمر، ترفأ إليه السفن من أرض الحبشة ومصر وسائر بلاد الهند، وهو أقرب ميناء إلى المدينة، واندثر خلال القرن الخامس الهجري، ويقع غرب بلدة بدر بميل نحو الشمال، ينظر: البلدان لليعقوبي (152)، ومعجم البلدان (2/ 92)، والجُمان في تاريخ ينبع على مدار الزمان لناجي الهزاعي (ص39).

(29) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1/ 364) بتصرف، وداود الجعفري أحد المحدثين من أحفاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، والجار مدينة على ساحل البحر كانت مرفأ للسفن القادمة من الحبشة ومصر، وأبو زهير كان رفيق أبي حاتم، وقد ترجم له ابن أبي حاتم في (7/ 195).

(30) الجرح والتعديل (1/ 364).

المرسل يغني عن المتصل؛ إذ هو بمثابته، لَمَا تعب القوم هذا التعبَ كله، ولا أعملوا المَطيّ بالرحل، وأدخلوا المشاق على أنفسهم، وتشددوا على من سمعوا منه التشدد المأثور عنهم؛ والنظر يدل على أنهم إنما فعلوا ذلك لافتراق الحكم في الرواية بين الاتصال والإرسال»[31].

فرحلات المحدثين صورة من صور التضحيات التي بذلها الرواة والنقاد لجمع السنة وتمحيصها، ولو وقف على هذه الرحلات بتفاصيلها أولئك القوم الذين يشككون في السنة بدعوى أنها جهود بشرية لتغيرت نظرتهم إن كانوا يريدون الحق.

وفي الخَلف من طلاب العلم من سار على هذا النهج، فتغربوا عن أوطانهم ودخلوا في البعثات الدراسية حاملين لواء خدمة الدين والرد على شبهات المخالفين، فهم على سنن المحدثين، وما أعظم أجرهم إن صدقوا الله في طلبهم!

فالرحلة قطعة من العذاب خاصة في تلك الأزمان، لكن لها فوائدها العديدة، يتحصل الراحل من خلالها على الكنوز الفريدة، وقد أنشد أحدهم:

قالوا: ترحَّلتَ عن دارٍ نشَأْتَ بها ❋

وليس للمرءِ إلّا دارُهُ شرَفُ

قلتُ: انظُروا الدُّرَّ في التِّيجانِ موضعُهُ ❋

لَمَّا تفتَّح من مكنونِهِ الصَّدَفُ[32]

فهذا الدرُّ كان قابعًا في ظلمتين؛ ظلمة الأصداف وظلمة البحار، فلما ترحل عن مكانه وخرج إلى النور كان هو النور والبهاء والزينة؛ لذا تُزين وتُرصع به التيجان في أعلى الرؤوس، وكذا تزين به العقود على الرقاب والمعاصم فيزيد الفتاة جمالًا، على حد قول القائل:

لا تكترِثْ بفِراقِ أوطانِ الصِّبا ❋

فعسَى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا

فالدُّرُّ يُنظَمُ عند فَقْدِ بحارِهِ ❋

بجميلِ أجيادِ الحِسانِ عقودا[33]

فصاحب الرحلة سيقف على فرائد وفوائد، وسيعلو على غيره، ويطلع على أحاديث، ويلتقي برواة، ولم يكن يتمكن من ذلك لولا الرحلة؛ لذا قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: «بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب»[34]، وربما حدّث أحدَهم بحديث أو مسألةٍ ما فيقول له: «جئتُ بها زيوفًا وتذهبُ بها جيادًا»[35] أي: حررتها ونقحتها لك، وأخذتَها أنت طازجة، وربما قال: «أخذتَها مني بلا شيء، وقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»[36].

كما أن هناك نوعًا من المؤلفات يدل عنوانه على الرحلات، وهو ما يُسمى بكتب البلدانيات أو الأربعين البلدانية، يذكر مؤلفه البلاد التي رحل إليها، ويروي حديثًا

(31) الكفاية (2/ 211).

(32) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (4/ 351).

(33) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (4/ 350).

(34) السير (4/ 300).

(35) تاريخ ابن أبي خيثمة (5019) (5020) وفيه (وأخذتها طازجة)، والكامل (6/ 45).

(36) جامع بيان العلم، لابن عبد البر (563).

أو أكثر عن أحد شيوخ ذلك البلد، قال أبو طاهر السلفي (ت 576) في هذا النوع من التأليف: «إذ لا يقدر عليه كل أحد، إلا من عرف بالرُّجلة الوافرة، والرحلة المتوافرة من بلد إلى بلد...»[37]؛ وقال الذهبي عن السلفي: «خرَّج «الأربعين البلدية» التي لم يُسبق إلى تخريجها، وقلَّ أن يتهيأ ذلك إلا لحافظ عُرف باتساع الرحلة»[38].

وكون السِّلفي المتوفى (576) لم يُسبق إلى تخريجها، ليس ذلك عجزًا فيمن قبله، بل قد يكونون أوسع رحلة، وإنما لم يعتنوا بهذا النوع من التأليف لانشغالهم بما هو أهم من تدوين المرويات، وبيان عللها، ونحو ذلك، فهذا أبو حاتم الرازي في سفرته الأولى التي استمرت سبع سنين، دخل ما يقارب ستة عشر بلدًا، وبعض هذه البلدان دخلها مرارًا[39]، ولذا يستطيع المتأخر أن يُخرِّج أربعين بلدانية لأحد هؤلاء المتقدمين، كما فعل العراقي حيث خرّج أربعين بلدانية لابن حبان (ت354) من صحيحه[40]، وكما فعل الذهبي حيث خرّج أربعين بلدانية للطبراني (ت360)، خرّجها له من معجمه الصغير[41].

وفي كتب التراجم تجد ألفاظًا وأوصافًا تطلق على صاحب الرحلة كالطوّاف والرحّال والجوّال.

وفي الأنساب البلدانية تجد من ينتسب إلى أربعة أو خمسة بلدان، ولا تكون هذه النسبة لمن مرّ بها مجتازًا، أو أقام بها مدة يسيرة، إنما مدة طويلة حدّها بعضهم بأربع سنين حتى يصح أن ينسب إلى أهلها[42].

وربما تجد السند الواحد متعدد البلدان، فالكوفي يروي عن البصري، والبصري عن الشامي، والشامي عن المدني، والمدني عن المكي.

***

المبحث الثاني

أسباب عدم الرحلة عند المحدثين

تبين أن الرحلة هي الأصل عند المحدث، خاصة بعد ظهور مجالس التحديث وانتشار الرواية، لكن هناك جمع من المحدثين لم يرحلوا، وممن ذُكر بعدم الرحلة: مسعر بن كدام (ت155)، ويزيد بن زريع البصري (ت182)، وأبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي (ت221)، ومحمد بن المنهال التميمي البصري (ت231)، وهدبة بن خالد البصري (ت236)، ومحمد بن رُمح التُّجيبي المصري (ت242)، وحرملة بن يحيى المصري (ت243)، وبندار محمد بن بشار (ت252)، والربيع بن سليمان المُرادي المصري تلميذ الشافعي (ت270)، وزكريا بن يحيى الساجي البصري (ت307)، وابن الأخرم محمد بن يعقوب الشيباني النيسابوري (ت344) صاحب المستخرج

(37) الأربعون البلدانية للسلفي (32)، والرُّجلة بالجيم، والرَّجِيل: القوي على المشي الصبور عليه، لسان العرب (11/ 271).

(38) سير أعلام النبلاء (21/ 21).

(39) الجرح والتعديل (1/ 359).

(40) طرح التثريب (1/ 102).

(41) ينظر: المعجم المفهرس لابن حجر رقم (906).

(42) شرح نخبة الفكر للقاري (769).

على الصحيحين، وأبو أحمد النيسابوري الجلودي (ت368)، راوي صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان، وغُنجار (ت412) محدث بخارَى ومؤرخها، وابن عبد البر الأندلسي (ت463) لم يرحل إلا في حدود الأندلس، ومثله محدث الأندلس أبو علي الجياني الأندلسي (ت498) صاحب كتاب تقييد المهمل، والقاضي عياض اليحصبي الأندلسي (ت544)، وأبو الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت597)[43]، وغيرهم.

ولعدم الرحلة أسباب خاصة، وأسباب عامة، جرى تقسيمها في المطالب التالية:

- **المطلب الأول: الأسباب المالية:**

من أسباب عدم الرحلة قلة ذات اليد وعدم وجود النفقة والمال، وقد يكون عنده بعض النفقة فيرحل إلى بعض المحدثين دون بعض، قيل للثوري: «ما لك لم ترحل إلى الزهري؟ قال: لم تكن عندي دراهم»[44]، وقال الإمام أحمد: «لو كانت عندي نفقة لرحلت إلى يحيى بن يحيى»[45]، والتقى بالشافعي مرتين؛ مرة حين قدوم الشافعي بغداد، ومرة في الحج، وثالثة حصل الوعد لكن لم يتحقق، قال الشافعي: «وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم عليّ مصر فلم يقدم»، قال ابن أبي حاتم: «يشبه أن تكون خفة ذات اليد حالت بينه وبين الوفاء بالعِدَة»[46]، وقال ابن ماجه: «منعني الخروجَ إلى إبراهيم -المعروف بابن ديزيل- قلة ذات اليد»[47].

ولا يخفى أثر المال والزاد في هذه الرحلات؛ لذا أسقط الله عن الإنسان أعظم الرحلات وهي الحج إلى بيته الحرام، وفي الحديث أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما يوجب الحج؟ قال: «الزاد والراحلة»، قال الترمذي: «هذا حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم أن الرجل إذا ملك زادًا وراحلة وجب عليه الحج»[48].

على أن البعض قد يرحل يظن أن النفقة كافية، فينقطع في الطريق أو في البلد الذي رحل إليه، فلا يجد إلا التعب والعناء، ولمثل هؤلاء جعل الله مصرفًا من الزكاة، فهم أبناء السبيل حقًّا، قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: «بقيت

(43) ينظر تراجمهم على الترتيب: السير (7/ 166)، (8/ 297)، (10/ 320، 642)، (11/ 97، 499، 390)، (12/ 144، 587)، (14/ 197)، (15/ 466)، (16/ 301)، (17/ 304)، (18/ 161، 149)، (21/ 365)، وهناك غيرهم ينظر تذهيب التهذيب للذهبي: (1/ 138)، (7/ 143)، (8/ 145، 212- 213، 333، 373، 376)، (9/ 336)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (2/ 7)، (3/ 92).

(44) المحدث الفاصل (135).

(45) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 233) ويحيى هو النيسابوري قال عنه أحمد: «ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثل يحيى بن يحيى»= =التهذيب (11/ 298).

(46) الجرح والتعديل (7/ 203)، وتاريخ دمشق (51/ 330)، البداية والنهاية (14/ 383).

(47) السير (13/ 188).

(48) جامع الترمذي (813)، وسنن ابن ماجه (2896) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه ضعف، وله شاهد من حديث الحسن البصري، أخرجه أبو داود في المراسيل (133).

في البصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي شيئًا بعد شيء حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء، فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيتٍ خالٍ، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد وغدا عليَّ رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا عليَّ فقال: مُرَّ بنا على المشايخ، فقلت: أنا ضعيف لا يمكنني، قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري؛ قد مضى يومان ما طعمت فيهما، فقال لي رفيقي: معي دينار فأنا أواسيك بنصفه، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وقبضتُ منه النصف دينار»[49] رحمهما الله، وجزاهما عن الإسلام خيرًا.

ثم إن البعض قد يرحل وينفق ماله ويرهق بدنه، لكن يكون الشيخ على غير المراد؛ إذ لا يستحق الرحلة؛كما رحل ابن المبارك إلى عبد القدوس الشامي، وبعد أول حديث قال ابن المبارك: «إنا لله وفي سبيل الله على نفقتي وبعيري»[50]، وذلك أنه أخطأ خطأ لا يخطئه الصغار، والإمام أحمد قال: «في سبيل الله دراهم أنفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم»[51].

(49) الجرح والتعديل (1/ 364).

(50) تاريخ بغداد (12/ 434).

(51) الضعفاء والمتروكون للدارقطني (2).

- **المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية.**

أما الأسباب الاجتماعية: فحاجة الوالدين أو أحدهما إلى ابنهما؛ فهذا أويس القرني اليمني ما منعه من القدوم ولقاء سيد المرسلين وإمام المحدثين ﷺ إلا بره بأمه[52]، وقال يحيى بن معين عن مسعر بن كدام: «لم يرحل مسعر في حديث قط»[53]، ولعل السبب ما قاله ابن سعد حيث: «كان لمسعر أم عابدة، فكان يخدمها»[54]، وقال محمد بن بشار بندار: «أردتُ الخروج -يعني السفر- في طلب الحديث فمنعتني أمي، فأطعتها، ولم أخرج، فبورك لي فيه»[55]، وقبل ذلك قول نبينا -عليه الصلاة والسلام- لما جاءه الرجل يستأذنه في الجهاد، فقال: «أحيٌّ والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[56]. وقد يرحل المحدث بعد وفاة والديه، قال الذهبي عن كَهْمَس البصري: «وكان رَحِمَهُ اللَّهُ برًّا بأمه، فلما ماتت حج، وأقام بمكة حتى مات»[57].

(52) الحلية (2/ 87)، والإصابة (1/ 359).

(53) تاريخ الدوري (3077)، والسير (7/ 166). قال الذهبي معلقًا: «نعم، عامة حديثه عن أهل بلده، إلا قتادة، فكأنه ارتحل إليه».

(54) الطبقات الكبرى (6/ 345)، والسير (7/ 165).

(55) تاريخ بغداد (2/ 458)، تاريخ الإسلام (6/ 165) وقال: «واقتنع بحديث بلده» بينما قال في السير (12/ 144): «ولم يرحل برًا بأمه، ثم رحل بعدها». وينظر مثال آخر تاريخ بغداد (8/ 184).

(56) السير (6/ 317).

(57) البخاري (3004)، ومسلم (2549). ويروى بسند ضعيف عن هشام بن حسان: قلت للحسن: إني أتعلم القرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء، فقال الحسن: «تعشَّ العشاء مع أمك تقر به عينها أحب إليّ من حجة تحجها تطوعًا» الجامع لأخلاق الراوي (1704).

وقد يكون منعُهما خوفًا عليه كأن يكون صغيرًا على الرحلة، كما حدث مع الإمام أحمد إذ منعته والدته عبور النهر للسماع من جرير بن عبد الحميد الكوفي رغم أنه في بغداد[58]، وكما حصل مع أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني لّما منعه أهله من الرحلة إلى محمد بن أيوب الرازي، يقول: «لما ورد نعي محمد بن أيوب الرازي، بكيتُ وصرختُ... فاجتمع عليّ أهلي، وقالوا: ما أصابك؟ قلت: نُعي إليّ محمد بن أيوب، منعتموني الارتحال إليه، فسلَّوْني وأذنوا لي في الخروج إلى نسا إلى الحسن بن سفيان، ولم يكن ها هنا شعرة، وأشار إلى وجهه»[59].

ومن الأسباب الاجتماعية: حاجة أهله وأطفاله إليه؛ فليس لهم بعد الله إلا هو، ولما قال سفيان بن عيينة لحميد بن الأسود: «تجيء حتى نخرج إلى يونس بن يزيد الأيلي؟ قال: أنت فارغ وأنا على عيال»[60]. وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا»، قيل معناه قبل أن تتزوجوا فتشغلكم بيوتكم وأزواجكم عن ذلك، وقيل: قبل أن تتزوجوا فتصيروا أرباب بيوت أي: فلا تستطيعون السفر والترحال في الطلب[61]، ولعل هذا من أسباب عزوف بعض العلماء عن الزواج، ومما يُستطرف قول أحدهم:

ما للمُعيل وللمعالي إنّما ❋
يسمو إليهنَّ الوحيدُ الفاردُ
فالشمسُ تجتابُ السماءَ وحيدةً ❋
وأبو بناتِ النَّعشِ فيها راكدُ[62]

لكنّ خير الهدي هديُ محمد ﷺ، فقد تزوج وعال وعلا، والعلماء والمحدثون على هذا السَّنن إلا من ندر.

- **المطلب الثالث: الأسباب المكانية.**

أما الأسباب المكانية: فأن يكون بلدُه زاخرًا بالعلم وأهله، فقلّ أن يجد عند غيرهم ما لا يجده عندهم، فقد يستغني المحدث عن الرحلة بسبب وفرة المحدثين ببلده وكثرة مرور المحدثين عليه، فهذا منصور بن المعتمر الكوفي (ت132) قال عنه الذهبي: «ما علمت له رحلة ولا رواية عن أحد من الصحابة، وبلا شك كان عنده بالكوفة بقايا الصحابة»[63]، وهذا مسلم بن إبراهيم الفراهيدي البصري

(58) تاريخ بغداد (8/ 189). قال إبراهيم بن هاشم: «لما قدم جرير بن عبد الحميد الكوفي (ت 188) -يعني بغداد- نزل على بني المسيب، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاء المد، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبر؟ فقال: أمي لا تدعني. قال: فعبرت أنا فلزمته، ولم يكن السندي يدع أحدًا يعبر، يريد لكثرة المد، فمكثت عنده عشرين يومًا فكتبت عنه ألفًا وخمس مائة حديث. وكتبت عنه قبل أن يخرج إلى مكة حديثًا بالسفينتين على دابته».

(59) السير (16/ 295) وكان عمره تقريبًا سبعة عشر عامًا، ونسا مدينة بخراسان هي بلدة النسائي أبو عبد الرحمن صاحب السنن، معجم البلدان (5/ 282).

(60) الإلماع للقاضي عياض (245).

(61) ينظر الإلماع (245)، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (1488)، وأثر عمر ﷺ أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة، ووصله ابن حجر في التغليق (2/ 81).

(62) الإلماع للقاضي عياض (245).

(63) السير (5/ 402).

(ت222)، قال عنه أبو داود: «ما رحل إلى أحد»، ومع ذلك فشيوخه كثر جدًّا، قال عن نفسه: «كتبت عن ثمانمائة شيخ، ما جزت الجسر»، وغالب شيوخه بصريون، وفي شيوخه المدني، والكوفي، والواسطي، والخراساني، لمرورهم على بلده، وهذا لا يكاد يكون في الذي لم يرحل إذا كان بلده لا يُرحل إليه، ومن هنا ندرك أنه قد يكون للراوي شيوخ من غير أهل بلده وهو لم يرحل.

أيضًا من الأسباب: أن يكون شيخه الذي يتتلمذ عليه واسع الرواية جدًّا حيث كان رحالة في شبابه فيغنيه عن الترحال، وإن كان الطالب يفوّت على نفسه علوّ الإسناد؛ لكن البعض غايته المعلومة بأي طريق وصلت، ومن ذلك ما قاله أبو بكر بن أبي خيثمة البغدادي في بقي بن مخلد الأندلسي (ت276): «ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد؟»[64]، وقد رحل بقي إلى المشرق، فلقي جماعة من أئمة المحدثين، وكبار المسندين، والتقى بالإمام أحمد في أيام محنته ومنعِه من التحديث وسمع منه حيلة، ولما رجع نشر الحديث في الأندلس، وروى عنه تلاميذه، بل شيوخه وأقرانه[65]،

(64) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي (1/ 108).

(65) تنظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (1/ 109) وذكر أنه بسببه ومن بعده محمد بن وضاح صارت الأندلس دار حديث وإسناد، وينظر قصة التقائه بالإمام أحمد في تاريخ الإسلام للذهبي (6/ 521)، وهي من أجمل قصص الحرص على الطلب، مما جعل له مكانة عند الإمام أحمد، هذا إن صحت القصة، فكأن الذهبي ينكرها.

وقال أبو حامد النيسابوري المعروف بابن الشَّرْقي (ت325): «قيل لي وأنا أكتب الحديث في بلدي: لمَ لا ترحل إلى العراق؟ فقلت: وما أصنع بالعراق وعندنا من بنادرة الحديث ثلاثة: محمد بن يحيى الذهلي، وأبو الأزهر أحمد بن الأزهر، وأحمد بن يوسف السلمي؟ فاستغنينا بهم عن أهل العراق»[66]، وقال أحدهم عن مسعود السجزي الرحال (ت477):

ولو أنِّي ظَفرتُ به شَبابي ❋

غَنِيتُ عن التردد وقتَ شَيبي[67]

وقال الذهبي عن أبي محمد ابن عساكر الدمشقي (ت600)، وابن الجوزي (ت597) بعد ما ذكر أنهما لم يرحلا: «قنع أبو محمد ببلده ووالده، وناهيك بذلك، وقنع أبو الفرج ببغداد»[68]، فقد كان والده راوية، وبلده بالمحدثين زاخرة، وكذا بغداد لابن الجوزي.

ولعل أبرز مثال يجمع الأمرين -أي: كون البلد مقصودًا، وشيخه واسع الرواية- ما حصل للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم تُعْهد له رِحلة واسعة، لكنه صار رُحلة، وسبب ذلك وجوده في المدينة عاصمة الخلافة الراشدة، والبلد المقصود تبعًا عند الحج، وشيخه الزهري جامع السنة الذي

(66) تاريخ بغداد (5/ 66).

(67) السير (18/ 535)، وينظر في ترجمة السجزي: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (ص474).

(68) السير (21/ 407)، ثم استدرك وذكر أن أبا محمد القاسم بن عساكر قد رحل.

قال عن نفسه: «اختلفت من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز خمسًا وأربعين سنة ما استطرفت حديثًا واحدًا»[69].

لذا قال الخطيب عن الرحلة: «المقصود في الرحلة في الحديث أمران: أحدهما تحصيل علو الإسناد وقدم السماع، والثاني لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم. فإذا كان الأمران موجودَين في بلد الطالب ومعدومَين في غيره فلا فائدة في الرحلة، والاقتصار على ما في البلد أولى»[70].

- **المطلب الرابع: الأسباب السياسية والأمنية.**

أما الأسباب الأمنية: فما يكون من فساد الطريق، واختلال الأمن، وظهور الفتن، واضطراب البلدان؛ فهذا يحيى بن يحيى التميمي (ت226) عالم خراسان؛ أراد الحج -وكانت فتنة خلق القرآن وامتحان الناس على أشدها-، فقال له والي خراسان: «أنت من الإسلام بالعروة الوثقى، فلا آمَن أن تُمتحن، فتصير إلى مكروه»[71]، فعمل بنصيحته ولم يحج، وكان قد حج قبل ذلك، وقال سفيان الثوري الكوفي: «ليس على نساء خراسان حج»[72]، ولعل ذلك بسبب بُعد الشُّقَّة، وكثرة المشَقَّة، ووعورة الطريق، ومجاهل الصحراء، وقطّاع الطريق، فبعض الطرق ليست آمنة، فمثلًا حجاج الأندلس والمغرب كانوا يسافرون للحج بحرًا عبر ما يُسمى بالبحر المتوسط، ثم يصلون إلى مصر، ومن مصر إلى الميناء المحاذي لمكة المسمى ميناء عَيْذاب، ثم يُبحرون مرة أخرى إلى مكة[73]، أضف إلى ذلك وقوع مصر والمغرب في القرنين الرابع والخامس تحت حكم العبيديين الفاطميين، الذين نشروا الرفض وأماتوا السنة، وسبُّوا الصحابة، وكانت الدنيا تغلي بهم رفضًا وجهلًا، ومنعت الدولة العبيدية التكنّي بأبي بكر وعمر ﷺ، ومن جرائمهم ما فعلوه في حق أبي بكر الرملي (ت363) قال أبو ذر الهروي: «سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة»، ولما جيء به إلى والي مصر قال له الوالي: «بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا، وفينا تسعة. قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميَكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادَّعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه...». وكان الدارقطني -وهو من تلاميذه- يذكره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يُسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58][74]؛ لذا لما استعرض الذهبي شيئًا

(69) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص409).

(70) الجامع (2/ 223).

(71) السير (10/ 517).

(72) السير (9/ 486) علق الذهبي قائلًا: «هذا قول عجيب، أفما هنّ من الناس؟ فكأنه لمح بُعد الشُّقة، وكثرة المشَقة».

(73) ينظر: التكملة لكتاب الصلة (2/ 135)، وينظر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج لسيد عبد المجيد بكر (ص161)، وطرق أمراء الحج في الدولة العربية الإسلامية، وجدان العارضي (ص92).

(74) السير (16/ 148-181-252) (17/ 453-550)، وقد استعرض الذهبي سيرة ملوك هذه الدولة في موضع واحد في السير (15/ من ص141 حتى 315)، وكانت دولتهم في آخر=

من فتنتهم في الشام قال: «ولولا خوف الإطالة لسُقت ما يُبكي الأعين»، كما أنهم فرضوا الضرائب والمكوس على الحجاج[75].

والمقصود: أن الطرق من الأندلس والمغرب إلى مكة لم تكن آمنة في ذلك الوقت، فلم يستطيعوا الرحلة لأداء هذا الركن العظيم ركن الحج فكيف بغيرها من الرحلات؟ ومن هؤلاء الذين لم يرحلوا للحج: ابن حزم، وابن سيده، وابن عبد البر، وأبو علي الجياني، والقاضي عياض، وغيرهم[76]، وقد عبّر القاضي عياض عن شوقه وحنينه إلى المدينة عند تأليف كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، فقال:

يا دارَ خير المرسلين ومَن به ❋

هُدِي الأنام وخُصَّ بالآيات

عندي لأجلِكِ لوعةٌ وصَبابةٌ ❋

وتشوّقٌ متوقدُ الجمرات

لولا العوادي والأعادي زُرتُها ❋

أبدًا ولو سَحبًا على الوجنات[77]

وهؤلاء الأئمة وإن كانوا من المحدثين المتأخرين إلا أن التمثيل بهم يُعطي تصورًا واضحًا لمن يشابه حالهم من المحدثين السابقين ممن لم يوقف على أخبارهم بالتفصيل، فالفتن من أسباب عدم الرحلة، ولا يخفى ما فعله القرامطة من قتل الحجاج وإخافة ابن السبيل، وقد قُتل في هذه الفتنة جمع من المحدثين، منهم أبو الفضل ابن عمار الهروي الشهيد (ت317) صاحب كتاب علل أحاديث مسلم، قال الحاكم: «سمعت بكير بن أحمد الحداد بمكة يقول: كأني أنظر إلى الحافظ أبي الفضل محمد بن أبي الحسين وقد أخذته السيوف، وهو متعلق بيديه جميعًا بحلقتي الباب حتى سقط رأسه على عتبة الكعبة»، لذا لُقب بالشهيد، وقد قتل شابًّا، ولو عاش لكان له شأن في هذا الفن[78].

وفي المتأخرين -وإن لم يكن من المحدثين- ابن جُبير الكناني الأندلسي (ت614)، سكن مصر، وله كتاب مطبوع بعنوان رحلة ابن جبير، وذكر ما يجده الحجاج فيها

=القرن الثالث تقريبًا، واستمرت مائتي سنة وثمانيًا وستين سنة، السير (15/ 213) وممن عاش في عهدهم عبد الغني بن سعيد الأزدي السني محدث الديار المصرية، لكن دارى القوم واتقى شرهم، قال الذهبي: «اتصاله بالدولة العبيدية كان مداراة لهم، وإلا فلو جمح عليهم، لاستأصله الحاكم خليفة مصر...» السير (17/ 271). وينظر في تاريخ هذه الدولة: نهاية الأرب في فنون الأدب للبكري (المتوفى: 733هـ) (28/ 63)، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين العمري (المتوفى: 749هـ) (24/ 89).

(75) السير (15/ 167)، ورحلة ابن جبير الأندلسي (ص28).

(76) ينظر: في ابن حزم؛ زاد المعاد لابن القيم (2/ 213)، وفي ابن سيده؛ لسان الميزان لابن حجر (5/ 500)، وفي ابن عبد البر السير للذهبي (17/ 304)، وذكر أنه لم يرحل إلا في حدود الأندلس، وفي الجياني السير (18/ 161)، وفي عياض السير (18/ 149).

(77) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 59).

(78) ينظر: تاريخ الإسلام (7/ 329)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (3/ 24)، وقال عنه: «رأيت له جُزْءًا لطيفًا يدلُّ على براعته وحِفْظه، ذكر فيه أحاديثَ استدركها على مُسْلم، وبيّن عللها»، له أيضًا المستخرج على صحيح مسلم، وهو ممن رحل وطوف في البلاد.

من التعب والعنت، وذكر أنهم مكثوا مبحرين من ميناء عَيذاب[79] إلى جدة ثمانية أيام، قال: «كنا فيها نموت مرارًا ونحيا مرارًا»، وقال: «وعند احتلالنا -أي وصولنا- جدة المذكورة عاهدنا الله ﷻ، سرورًا بما أنعم الله به من السلامة، ألا يكون انصرافنا على هذا البحر الملعون إلا إن طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطرق»، ثم قال: «فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب وبما يُصنع بالحاج مما لا يرتضيه الله ﷻ. فراكب هذا السبيل راكب خطر ومعتسف غَرَر، والله قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال...»[80].

ومن أسباب عدم الرحلة: الضياع وفساد الطريق وكثرة قُطّاعه؛ فهذا أبو تراب النخشبي (ت245) كان كثير الحج، وفي رحلته الأخيرة انقطع ببادية الحجاز، فنهشته السباع ومات[81]، وممن قُطع عليه الطريق شيخ الشافعية أبو المظفر السمعاني المروزي (ت489)، فقد خرج حاجًّا؛ قال: «لما دخلت البادية انقطعت، وقطعت العرب علينا الطريق، وأسرونا، وكنت أخرج مع جمالهم أرعاها، وما قلت لهم إني أعرف شيئًا من العلم، فاتفق أن أميرهم أراد أن يزوج بنته من رجل، فقالوا: نحتاج أن نخرج إلى بعض البلاد، ليعقد هذا العقد بعض الفقهاء، فقال واحد من المأسورين: هذا الرجل الذي يخرج مع جمالكم إلى الصحراء فقيه خراسان، فاستدعوني، وسألوني عن أشياء، فأجبتهم، وكلمتهم بالعربية، فخجلوا واعتذروا مني، وعقدت لهم العقد، وقرأت الخطبة، ففرحوا، وسألوني أن أقبل منهم شيئًا، فامتنعت، فحملوني إلى مكة في وسط السنة»[82]. وفي المتأخرين يذكر ابن رشيد الفهري (ت721) في رحلته اختلال الأمن وهم في مكة، فذكر أنه وجماعته تركوا سنة المبيت بمنى ليلة التاسع لتوقع ما يخاف من قطاع الطريق في أطراف النهار، قال: «فسرنا جميعًا إلى عرفات، فوافيناها عند غروب الشمس... وبتنا تلك الليلة بعرفات، وعلى إثرنا انتهب قُطاع العرب بعض من تأخر من أهل الركب، وكان منهم لمن دافَعَهم قتلٌ وسلب، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[83].

(79) عَيذَاب: ميناء مصري عريق من أقدم الموانئ البحرية على ساحل البحر الأحمر مما يحاذي جدة. معجم البلدان (4/ 171)، ومقال كتبه عماد عرفة في جريدة اليوم السابع، القاهرة 2025م.

(80) رحلة ابن جبير (41-46-49) وقوله (البحر الملعون) لا يجوز لعن البحر ونحوه، قال النووي عند حديث (لا تسبوا الريح...): «في هذا الحديث النهي عن لعن الريح وسائر ما لا يستحق اللعن، لأن ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى، إذ كل ذلك بقدرته ومشيئته». شرح النووي (16/ 15)، وقال ابن حجر في الفتح (10/ 415): «يُستفاد من النهي عن لعن الريح النهي عن لعن كل ما لا ذنب له من جماد وحيوان».

(81) تاريخ بغداد (14/ 266)، والسير (11/ 545).

(82) تاريخ الإسلام (10/ 641)، والسير (19/ 115)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (5/ 337). وينظر قصة ابن سمعون في السير (16/ 506).

(83) ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة (1/ 87) وينظر (1/ 96)، وكتاب ابن رشيد قال عنه ابن حجر: «فيه من الفوائد شيء كثير، وقفت عليه وانتخبت منه».=

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على عدم الرحلة

- **المطلب الأول: فوات عدد من الأحاديث أو الأسانيد.**

لعدم الرحلة آثار سلبية في الراوي، منها:

فوات عدد من الأحاديث أو الأسانيد والطرق؛ خاصة بعض الأحاديث والطرق البلدانية التي تفرد بها أهل تلك البلاد، قال الإمام الشافعي: «وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة، سوى ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثًا»، عقّب الذهبي قائلًا: «فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين، وارتحل، ولقي خلقًا كثيرًا ما لقيهم مالك، وهما نظيران في الإتقان، ولكنّ مالكًا أجلّ وأعلى...»[84].

وقد ذكر الخطيب المقصود من الرحلة، فقال: «المقصود في الرحلة في الحديث أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد وقدم السماع، والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم...»[85]، فبمذاكرة الحفاظ يطلع على الجديد.

وكان الحفاظ يحرصون على المذاكرة فيما بينهم، ومن أهم بواعث هذا الحرص أن يقفوا على الغرائب، فيفيد بعضهم بعضًا ويدُلّه على الشيخ إن كان حيًّا، وقد قال عبد الله بن المبارك: «إن أول منفعة الحديث أن يفيد بعضكم بعضًا»[86]، وقد تذاكر فَضْلَك الرازي مع صالح جزرة في الري، ووقع في المذاكرة حديث غريب ليس عند صالح، فدلّه فضلك على من يرويه وكان الشيخ في نيسابور[87]؛ لذا عندما يُكثر هذا الذي لم يرحل من رواية الغرائب ربما صار موضع تهمة؛ فمن أين له هذه الأحاديث؟ قال ابن نمير عن محمد بن يزيد الرفاعي الكوفي (ت 248): «كان أضعفنا طلبًا، وأكثرنا غرائب»؛ لذا قال عنه البخاري: «رأيتهم مجمعين على ضعفه[88]»، وبعض الكذابين يُفتضح ويُكشف كذبه بعدم الرحلة، فلا يخفى أن بعض الكذابين وقع في شهوة الحديث.

وقد يتحصل المحدث الذي لم يرحل على المرويات عن طريق الإجازة، لكنها بلا شك أقل رتبة من السماع والعرض، بل بعض المتقدمين لا يرى صحة الرواية بها.

ومما يبين أثر عدم الرحلة في معرفة الرواة والوقوف على المرويات؛ ما ذُكِر عن ابن حزم (ت456) من تجهيله للترمذي وغيره، والسبب أنه لم يحج ولم يرحل من الأندلس، قال عنه أبو نصر الإشبيلي: «أقام بوطنه، وما برح عن عَطنه»[89]، ولم يكن كتاب الترمذي دخل الأندلس،

=وقد ذكر أبو الطيب المكي (ت 832) في كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام بابًا في ذكر شيء من الحوادث المتعلقة بمكة (2/ 261).

(84) السير (8/ 457).

(85) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 223).

(86) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 150).

(87) السير (12/ 277).

(88) السير (12/ 154) وحتى لو كان الراوي صدوقًا فتفرده والحالة هذه مما يُستنكر.

(89) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس (ص279).

فلم يقف على كتابه، ولا درى شيئًا من أخباره، لكنّ أبا الوليد الفرضي الأندلسي (ت403) توفي قبل ابن حزم بسنين، ومع ذلك ذكرَ الترمذيَّ في كتابه (المؤتلف والمختلف) وأثنى عليه، وسبب ذلك رحلته إلى المشرق للحج وهناك درى أخباره، إذ إن كتاب الترمذي كان مشتهرًا في الحجاز والعراق وخراسان[90].

بل إن هذا الأثر لعدم الرحلة بما في ذلك رحلة الحج قد امتد إلى خلل في أحكامه وتصوراته فيما يتعلق بالمناسك، فقد ألف ابن حزم كتابًا في حجة الوداع، ووقع في بعض الأوهام، من ذلك ما ذكره من سعيه ﷺ بين الصفا والمروة سبعًا، يَخُبُّ ثلاثًا، ويمشي أربعًا، وذكر أن هذا متفق عليه، قال ابن القيم: «المتفق عليه: السعي في بطن الوادي في الأشواط كلها. وأما الرمَل في الثلاثة الأُول خاصة، فلم يقله، ولا نقله -فيما نعلم- غيرُه. وسألت شيخنا عنه، فقال: هذا من أغلاطه، وهو لم يحج ﷺ»[91].

وكذا القاضي عياض اليحصبي المالكي الأندلسي (ت544) لما جاء عند حديث انتهاء حجه -عليه الصلاة والسلام- ونزوله بالأبطح وانتظاره عائشة ﷺ من عمرتها المفردة، قال عند قوله ﷺ لعائشة: «هل فرغت؟ قالت: نعم، فأذّن في أصحابه، فخرج فمر بالبيت وطاف»، قال عياض: «فيحتمل أن طوافه هذا غير طواف الوداع، وأنه أعاد؛ لأن منزله بالأبطح كان بأعلى مكة، وخروجه من مكة إنما كان من أسفلها، فلما رحل إلى المدينة واجتاز بمكة ليخرج من أسفلها على عادته ومر بالمسجد، كرر الطواف ليكون آخر عهده البيت» قال ابن حجر معقبًا: «والقاضي في هذا معذور؛ لأنه لم يشاهد تلك الأماكن، فظن أن الذي يقصد الخروج إلى المدينة من أسفل مكة يتحتم عليه المرور بالمسجد، وليس كذلك كما شاهده من عاينه، بل الراحل من منزله بالأبطح يمر مجتازًا من ظاهر مكة إلى حيث مقصده من جهة المدينة، ولا يحتاج إلى المرور بالمسجد، ولا يدخل إلى البلد أصلًا»[92].

والشاهد أنه إذا خفيت مثل هذه المعالم على هؤلاء الأئمة، فخفاء جرح راوٍ أو تعديله، أو عدم معرفة حديث أو طريق من باب أولى، وخلاف ذلك بالنسبة إلى صاحب

(90) الميزان (3/ 678)، والسير (18/ 202)، والتهذيب (9/ 388)، ووفيات الأعيان (3/ 106)، والجهالة عند المحدثين (187)، قال ابن حجر في اللسان (1/ 231): «وهذه عادة ابن حزم إذا لم يعرف الراوي يجهله، ولو عبر بقوله لا أعرفه لكان أنصف».
ومثله كتاب ابن ماجه لم يطلع عليه ابن حزم، على أن ابن حجر له رأي آخر في تجهيل ابن حزم للترمذي، وهو أن هذا من تشدد ابن حزم، ينظر التهذيب، والأغرب أن البيهقي لم يكن عنده سنن النسائي ولا الترمذي ولا ابن ماجه مع أنه من أهل تلك الأقاليم، وشهرتها بالرواية أكثر من الأندلس، وهو محدث أكثر من ابن حزم، إضافة إلى أنه رحل إلى العراق والحجاز. ينظر: السير (18/ 165).

(91) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/ 213)، وقد تتبع ابن القيم= =أوهامه في عدد من المواضع منها (2/ 99-129-149-276)، وكذا ابن كثير فقد قال: «وقد صنف العلامة أبو محمد بن حزم الأندلسي، ﷺ، مجلدًا في حجة الوداع أجاد في أكثره، ووقع له فيه أوهام، سننبه عليها في مواضعها» البداية والنهاية (7/ 405).

(92) إكمال المعلم بفوائد مسلم (4/ 251)، وفتح الباري لابن حجر (3/ 613) ثم ذكر التأويل الصحيح للحديث.

الرحلة؛ ذلك أن صاحب الرحلة الذي شامّ وعاين الناس، والتقى بسائر الأجناس، تعديله وتجريحه له اعتبارٌ كبير خاصة إذا كان في سياق المقارنات، فمثلًا حين يقول عبد الرزاق، والشافعي، وصالح جزرة، وابن معين وغيرُهم من أهل الرحلة -واللفظ لعبد الرزاق-: «ما رأيتُ أحدًا أفقه ولا أورعَ من أحمد بن حنبل»، فهذا تعديلٌ عالٍ، وتزكية عظيمة، فالظن بصاحب الرحلة أن يجتمع بأئمة الحديث ورؤوس المحدثين؛ لذا قال الذهبي معقبًا: «قال هذا -يعني عبد الرزاق- وقد رأى مثل الثوري ومالك وابن جريج»[93].

- **المطلب الثاني: عدم شهرة الراوي غالباً، وربما جهالته.**

من آثار عدم الرحلة: عدم شهرة الراوي، وربما جهالته؛ لذا تجد أكثر المجهولين ليسوا أهل رحلة، إذ بالرحلة تكثر أحاديث الراوي ويكثر شيوخه، وهما من أسباب المعرفة بالراوي والخبرة به، فالرحلات والأسفار تسفر عن أحوال الرواة إما عينًا أو حالًا؛ لذا حين النظر في التراجم البلدانية تجد أن مؤلفيها لم يكتفوا بالترجمة لمحدثي البلد، بل أدرجوا فيهم الغرباء الذين مروا بهذه البلاد وحدثوا بها واستفاد منهم أهلها، وهذا يكاد يكون عامًّا في كل التواريخ البلدانية[94]، وبعضهم ينص على ذلك في عنوان كتابه كما في «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأصبهاني (ت369)، وتاريخ بغداد حيث سماه مؤلفه «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها» للخطيب (ت463)، وتاريخ دمشق حيث سماه مؤلفه: «تاريخ مدينة دمشق حماها الله وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها» لابن عساكر (ت571)، وقلّ بلد من بلدان الرواية إلا وقد أُلف في رجالاته تاريخٌ، وقد تتحول الترجمة لذلك الشيخ من كونها ترجمة يُقصد من ورائها معرفة عدالته وضبطه إلى ترجمة مَنْقَبية تتعدى ذكر عدالته وضبطه إلى ذكر فضائله ومناقبه، فالرحلة من أسباب الشهرة؛ لذا قال يزيد بن هارون الواسطي (ت206): «ما عُرفتُ حتى خرجت من واسط»[95].

فقد استفاد المحدثون أنفسهم من هذه الرحلات؛ حيث اتسعت مروياتهم وكثرت أحاديثهم واشتهرت تراجمهم، وكانت لهم الرحلة فيما بعد، لذا قيل: «من لم يكن له رِحلة فلن يكون رُحلة»، أي: فلن يكون مقصد طلاب الحديث بحيث يُرحل إليه مستقبلًا، وممن ذُكر بعدم الرحلة شريح القاضي (ت80)، فقد كان قاضيًا في البصرة ثم الكوفة، ورغم شهرة أخباره في القضاء، إلا أنه مقلٌّ من رواية الحديث، كما أنه قليل الشيوخ والتلاميذ[96]، رُغم كبر سنه، وفي المتأخرين قال السبكي عن الحسين بن مسعود

(93) السير (11/ 195).

(94) ينظر مجموعة من المؤلفات في التواريخ البلدانية في كتاب: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم العمري (ص142).

(95) تاريخ بغداد (16/ 493).

(96) تهذيب الكمال (12/ 437)، وتاريخ الإسلام (2/ 821).

البغوي (ت516) صاحب المصابيح -وهو من إحدى بلاد خراسان، ولم يرحل ولا للحج-: «ولم يدخل بغداد، ولو دخلها لاتّسعت ترجمته»[97].

فالرحلات عمومًا حفظت لنا تراجم موسعة لهؤلاء الرواة، خاصة في التراجم البلدانية، فتجد هذا الراوي له ترجمة في تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، وتاريخ المدينة، وتاريخ مكة لأنه مر بهذه البلاد وحدث بها.

وانظر مثلًا للبخاري -زينة المحدثين - رحل إلى عدد من البلدان وفي كل بلد يترجم له أصحابه، فهو زينة للبلد وشرف له، فله ترجمة في تاريخ بخارى لغنجار، وتاريخ نيسابور للحاكم، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وفي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي، وكنوز الذهب في تاريخ حلب لسبط ابن العجمي، وفي التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، وهذا النسائي أبو عبد الرحمن صاحب السنن آخر الستة وفاة؛ له ترجمة في تاريخ نيسابور للحاكم، وفي التدوين في أخبار قزوين للرافعي، وتاريخ مصر لابن يونس، ومن ألف بعده في تاريخ مصر كالمقريزي والسيوطي، وله ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر، وبغية الطلب في أخبار حلب للعديم، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار، وفي الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعُليمي، وفي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين المكي.

فبالرحلة يشتهر المحدث وتنتشر أحاديثه، لا سيما حين يكون في بلد ناءٍ بعيد المسافة يصعب وصول المحدثين إليه، فهذا معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي ثم الأندلسي (ت158)، رحل إلى الأندلس، وبها استقر وتولى القضاء فيها، حج حجة واحدة فسمع منه أهل مصر كالليث بن سعد وكاتبه عبد الله بن صالح، وابن وهب، وكذا أهل الحجاز كالواقدي، ومعن بن عيسى، وكذا من كان فيها من غير أهلها كالثوري -وهو من أقرانه- وابن مهدي، قال عبد الله بن صالح كاتب الليث: «مرَّ بنا معاوية حاجًّا سنة أربع وخمسين، فكتب عنه الثوري، وأهل مصر، وأهل المدينة»[98]، قال أحمد: «خرج من حمص قديمًا فصار إلى الأندلس، وإنما سمع الناس منه حين حج»[99].

ومما يبين أثر هؤلاء المحدثين في البلد أن أهل البلد ربما أغروا المحدث بالاستيطان عندهم كما حصل مع معمر بن راشد البصري حين سافر إلى صنعاء، ولما رأوا نباهته كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم، فقال لهم رجل: «قيدوه، قال: فزوجوه، وبقي عندهم»[100]، وكان من نتاج ذلك أن استنفذ تلميذه عبد الرزاق بن همام مروياته، ولعبد الرزاق صارت الرحلة إلى اليمن؛ فرحل إليه كبار النقاد كأحمد وابن معين وابن المديني وإسحاق بن راهويه، قال

(97) طبقات الشافعية الكبرى (7/ 76)، وتاريخ الإسلام (11/ 250).

(98) السير (7/ 161).

(99) التهذيب (10/ 212)، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص459).

(100) السير (7/ 10).

ابن عدي: «قد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه»[101].

ولما قدم منصور بن عمار الخراساني مصر، قال له الليث بن سعد: «هل لك في المقام عندنا؟ قال: وكيف أقيم وما أملك إلا جبتي وسراويلي؟ قال: قد أقطعتك خمسة عشر فدانًا، قال منصور: ثم صرت إلى ابن لهيعة، فقال لي مثل مقالته، وأقطعني خمسة فدادين، فأقام بمصر»[102].

وفي المتأخرين: أبو طاهر السِّلَفي الأصبهاني ثم المصري (ت576)، فإنه لما دخل الإسكندرية رآه كبراؤها وفضلاؤها، فاستحسنوا علمه وأخلاقه وآدابه، فأكرموه، وخدموه، حتى لزموه عندهم بالإحسان، واستفادت مصر بوجوده، فقد رحل إليه خلق كثير جدًّا لمروياته الكثيرة ورحلاته العديدة وعمره المديد[103].

- **المطلب الثالث: نزول الراوي في أسانيده.**

من الآثار المترتبة على عدم الرحلة: نزول الراوي في أسانيده غالبًا، فقد يروي عن شيخ بواسطة رجلين أو أكثر، وبالرحلة يمكنه أن يلتقي بهذا الشيخ ويسمع منه مباشرة، قال الذهبي عن محمد بن بشار: «لم يرحل ففاته كبار، واقتنع بعلماء البصرة»[104]، وقال عن ابن أبي الدنيا: «يروي عن خلق كثير لا يُعرفون، وعن طائفة من المتأخرين.. لأنه كان قليل الرحلة، فيتعذر عليه رواية الشيء، فيكتبه نازلًا وكيف اتفق»[105]، وفي المقابل هذا الليث بن سعد المصري كان يروي أحيانًا عن نافع مولى ابن عمر بواسطة أربعة رجال، وعن الزهري بواسطة خمسة رجال، وعن أبي الزبير بواسطة ثلاثة رجال، إلا أنه في رحلاته للحج التقى بهؤلاء وسمع منهم مباشرة، ورواياته عنهم مخرجة في الصحيحين[106].

وقد رحل خلق من أهل العلم قديمًا وحديثًا إلى الأقطار البعيدة، طلبًا لعلو الإسناد[107]. ولم تكن الرحلة لتحصيل الأسانيد العالية ترفًا علميًّا؛ إذ الوقوف على تلك الأسانيد له فائدته من التثبت من المنقول وتصحيح الروايات والوقوف على السماعات وغير ذلك، وقيل للإمام أحمد: «أيرحل الرجل في طلب العلو؟ فقال: بلى والله شديدًا، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر فلا يقنعهما حتى يخرجا إليه فيسمعانه منه»[108].

وإذا رحل المحدث في بكور عمره زاده ذلك علوًّا ومكانة، فإذا رجع إلى بلده فسيسمع منه شيوخه وأقرانه الذين لم يرحلوا، وربما تصدر وهو حدَث، فسفيان بن عيينة رحل إلى الحجاز في صغره ولازم عمرو بن دينار

(101) الكامل (6/ 545)، وتهذيب الكمال (18/ 52).

(102) تاريخ بغداد (15/ 83).

(103) السير (21/ 24).

(104) تهذيب التهذيب (9/ 73).

(105) السير (13/ 399).

(106) ينظر: سؤالات الآجري (1497)، والمرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر (9)، وروايته عن أبي الزبير في مسلم، وليست في البخاري.

(107) الجامع لأخلاق الراوي (1/ 115)، وينظر (2/ 223).

(108) معرفة علوم الحديث لابن الصلاح (247).

المكي، وابن شهاب الزهري المدني؛ لذا صار أعلم الناس بحديث أهل الحجاز مع أنه كوفي، ولما رجع إلى بلده الكوفة حدّث بما سمع، وقال: «أول من أسندني إلى الأسطوانة مسعر بن كدام، فقلت: إني حدَث، فقال: إن عندك الزهري وعمرو بن دينار»[109]. وسبب هذا التميز رحلة والده إلى الحجاز حيث مصدر الرواية، وقد ذكر ابن عيينة قصته فقال: «كان أبي صيرفيًّا بالكوفة، فركبه الدَّين، فحمَلَنا إلى مكة، فلما رحنا إلى المسجد لصلاة الظهر، وصرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على حمار، فقال لي: يا غلام، أمسك عليَّ هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت: ما أنا بفاعل أو تحدثني؛ قال: وما تصنع أنت بالحديث؟ واستصغرني، فقلت: حدِّثني، فقال: حدثني جابر بن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدَّثني بثمانية أحاديث، فأمسكت حماره، وجعلت أتحفظ ما حدثني به، فلما صلى وخرج، قال: ما نفعك ما حدثتك، حبستني؛ فقلت: حدثتني بكذا، وحدثتني بكذا، فرددت عليه جميع ما حدثني به، فقال: بارك الله فيك، تعال غدًا إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار»[110]. لذا كان سفيان يقول: «سمعت من عمرو بن دينار ما لبث نوح في قومه»[111]، لذا لما روى عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس ﷺ، قال: «ليس التحصيب بشيء، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ»، قال الدارقطني: «هذا الحديث سمعه سفيان من الحسن بن صالح عن عمرو بن دينار، يعني أنه دلسه هنا عن عمرو»، تعقب النقاد قول الدارقطني بأنه لا دليل على التدليس، والحسن بن صالح بن حي كوفي، وابن عيينة من الملازمين لعمرو وهذا سند مكي، والموضوع في الحج، وهذا الإسناد من أقوى الأسانيد في الموضوع، فكل شيخ له اختصاص بشيخه، وكل شيخ له اهتمام بأحاديث المناسك، وقد أخرجه البخاري ومسلم بهذا السند؛ لذا عجب ابن كثير من قول الدارقطني، وتعقب ابن حجر كلام الدارقطني من وجه آخر؛ حيث ذكر أن في بعض الروايات تصريح ابن عيينة بالسماع من عمرو[112].

واستفاد ابن عيينة كثيرًا من مجاورته في مكة، فقد سمع من جمع كبير من المحدثين من شتى الأقطار، وتفرد بالرواية عن خلق من الكبار، وقال ابن معين في المقارنة بينه وبين محمد بن مسلم الطائفي -وكلاهما يروي عن عمرو-: «سفيان بن عيينة أثبت منه ومن أبيه ومن أهل قريته»[113]، ثم استقر به المقام بعد ذلك بمكة، وجاور ومات فيها، وقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم

(109) تاريخ بغداد (10/ 247).

(110) المحدث الفاصل (197)، وينظر: السير (8/ 455).

(111) تهذيب الكمال (11/ 190)، قال الذهبي في السير (5/ 304): «يريد: ألفًا إلا خمسين حديثًا». أما الملازمة فقد قال: «سمعت من= =عمرو بن دينار وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات وأنا ابن تسع عشرة سنة» تاريخ بغداد (10/ 244).

(112) تهذيب الكمال (11/ 190).

(113) الكامل (7/ 295).

سوى لقي سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده، فقد انتهى إليه علو الإسناد؛ إذ عُمّر طويلًا، وازدحم الخلق عليه، ورُحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، فيزدحمون عليه في الموسم ازدحامًا عظيمًا حتى جعل الخليفة عليه الشُّرَط ينحون عنه الناس، ولولا ذلك لقتل من تزاحمهم عليه، وفي أحد مجالسه أُغمي على الإمام أحمد من شدة الزحام[114]؛ ومن علو مكانته اضطر بعض شيوخه إلى السماع منه كالأعمش وابن جريج وشعبة[115].

والبخاري إمام الصنعة يقول: «فلما طعنت في ست عشرة سنة... خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها، وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم... وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة»[116]. فتأمل وهو في سن السادسة عشرة يجاور في مكة والمدينة، ويأخذ عن محدثيها، وكانت الأجواء العلمية مهيأة ليؤلف مثل هذا الكتاب العظيم كتاب التاريخ، وفي مكة التقى بشيخه أبي بكر الحميدي صاحب المسند، وأكثر الرواية عنه في صحيحه، واستفتح به، وقد استفاد البخاري من رحلته تلك فائدة عظيمة؛ حيث التقى بكبار المحدثين في ذهابه وإيابه وجلوسه في مكة والمدينة، وبذا علا بأسانيده عن بقية الستة، فروى عن شيوخ يروي عنهم بقية الستة بواسطة، وثلاثياته من طريق بعض هؤلاء الذين التقاهم في تلك السفرة[117]، إضافة إلى أنه أكبر الستة وأقدمهم ولادة.

فالرحلة سبب لعلو الإسناد لذا تجد بعض المحدثين ربما أخذوا معهم في رحلاتهم أبناءهم الصغار ليدركوا السماع من الشيوخ، وتعلو أسانيدهم بذلك، فهذا عبدالرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري (ت260) رحل به والده إلى مكة، وسمع من سفيان بن عيينة وهو دون البلوغ، وكان والده يفخر بذلك، قال عبد الرحمن: «حملني أبي على عاتقه في مجلس سفيان بن عيينة، وقال: يا معشر أصحاب الحديث، أنا بشر بن الحكم، سمع أبي من سفيان بن عيينة، وسمعت أنا منه، وهذا ابني قد سمع منه»[118]،

(114) الكامل (7/ 295)، وإكمال التهذيب (5/ 413).

(115) السير (8/ 455)، (11/ 191).

(116) تاريخ بغداد (2/ 322).

(117) وممن لقيه طلق بن غنام الكوفي (ت211)، ومعلى بن منصور البغدادي (ت211)، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل البصرى (ت212)، وعمرو بن عاصم البصري (ت213)، وأبو عبد الرحمن المقرئ المكي (ت213)، وخلاد بن يحيى السلمي، نزيل مكة (ت213)، وعصام بن خالد أبو إسحاق الحمصي (ت214)، ومكي بن إبراهيم البلخي (ت215) وأكثر الثلاثيات من طريقه، ومحمد بن عبد الله الأنصاري (ت215)، وحجاج بن منهال البصري (ت217)، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي (ت218)، وعبد الله بن يوسف التنيسي الدمشقي ثم المصري (ت218)، وعلي بن عياش الحمصي (ت219)، ومعلى بن أسد البصري (ت219)، وعبد العزيز الأويسي المدني (ت220)، وآدم بن أبي إياس البغدادي (ت220)، ينظر ثلاثيات البخاري، وتهذيب الكمال للمزي.

(118) السير (12/ 342)، وينظر أمثلة أخرى: تاريخ بغداد (5/ 319)، (11/ 136)، تاريخ دمشق (35/ 360)، وطبقات علماء الحديث=

فألحق سفيان الحفيد بالجد، وكانا في طبقة واحدة.

والآثار السابقة لعدم الرحلة تظهر بصورة أكبر فيما إذا لم يكن السبب ما ذكر سابقًا من توفر المحدثين في بلد الراوي وكون البلد مقصد الناس، وقد يكون من الآثار الحسنة في عدم الرحلة هنا اهتمامه الشديد وإحاطته البالغة لحديث بلده والقادمين عليها، أو حديث شيخه فيكون هو المرجع في ذلك؛ كما حدث مع محمد بن بشار فهو لم يرحل وقد لُقب ببندار؛ لأنه كان بندار الحديث ببلده، والبندار الحافظ[119]، وكذا أبو مسهر الدمشقي مع شيخه سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، بل كان يقول: «ينبغي للرجل أن يقتصر على علم بلده وعلم عالمه، فلقد رأيتني أقتصر على علم سعيد بن عبد العزيز فما أفتقر معه إلى أحد»[120]، وكما حصل مع الربيع بن سليمان حيث صارت الرحلة إليه لضبطه كتب الشافعي وأحاديثه، إضافة إلى طول عمره[121]، وأبو سعيد بن يونس المصري من أدرى الناس بالرواة المصريين وألف كتابه تاريخ مصر، قال عنه ابن عبد الهادي: «ولم يرحلْ، ولا سمع بغير مصر، لكنه إمام متيقّظ، وتاريخه كثير الفوائد»[122]، ومثله غنجار محمد بن أحمد البخاري لم يرحل، وصنف في رجالات بلده كتاب تاريخ بخارى[123].

***

الخاتمة والتوصيات

تبين من خلال البحث أن الرحلة عند المحدثين تُعد من أساسات الطلب، خاصة بعد انتشار مجالس التحديث، وأنها من أسباب التفاضل بين المحدثين، وتبين أن هناك جمعًا من المحدثين لم يرحلوا، بسبب ضيق اليد، أو خوف الوالدين عليهم إن كانوا صغارًا، أو حاجة أهليهم إليهم إن كانوا كبارًا، أو كون الطرق مضطربة والسبل مخوفة والفتن مدلهمّة، أو لم يكن هناك حاجة ملحة إلى الرحلة من كون بلد الراوي زاخرًا بالمحدثين، أو كون شيخه كثير الحديث واسع الرواية، وعدم الرحلة له آثاره في الراوي من حيث فوات عدد من الأحاديث والأسانيد، والنزول في الأسانيد، وعدم شهرة هذا الراوي؛ ذلك أن أصحاب التراجم البلدانية يترجمون لأهل البلد ولمن مرّ بها سامعًا أو مسمِعًا، أما الذي لم يرحل فلا تجد له ترجمة إلا في تاريخ بلده فقط، كما أن كلام صاحب الرحلة في الجرح والتعديل له أهميته؛ فقد يكون التقى بالراوي وجالسه، وربما امتحنه

=(3/ 18)، والسير (13/ 263).

(119) السير (12/ 144)، وذكر البعض أن بندارًا لم يرحل بادئ الأمر برًّا بأمه، ثم رحل بعدها.

(120) الجامع (2/ 223).

(121) السير (12/ 589). وقد يفوت الملازم لشيخه بعض الأحاديث، قال علي بن المديني عن سفيان الثوري الكوفي: «وما بدَّد في الإسلام أحدٌ حديثَه في الأمصار تبديدَ الثوري، فإنه حدث بالبصرة ما لم يحدث بالكوفة، وحدث بالشام ما لم يحدث بالعراق، وحدث بالعراق، وحدث باليمن ما لم يحدث بالعراق ولا بالشام، وحدث بالري ما لم يحدث بغيرها من الأمصار» المحدث الفاصل (620).

(122) طبقات علماء الحديث (3/ 93).

(123) طبقات علماء الحديث (3/ 249).

ليعرف مدى ضبطه وإتقانه، كما أنّ لتعديله وجرحه القيمة الكبيرة خاصة في سياق المقارنات لكونه التقى بجمع كبير من الرواة من بلدان شتى، وبسبب هذه الآثار فضل العلماء صاحب الرحلة على غيره.

ومن التوصيات: إفراد كل سبب من أسباب عدم الرحلة بالبحث، فمثلًا من أسباب عدم الرحلة: الأسباب السياسية والأمنية، فيستعرض الباحث الفتن التي مرت بها الأمة في عصر الرواية، وبيان تأثيرها في الراوي.

***

قائمة المصادر والمراجع

الأربعون البلدانية. السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد. تحقيق: عبد الله رابح، ط1، دمشق: مكتبة دار البيروتي، 1412هـ - 1992م.

الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: د. عز الدين علي السيد، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ - 1997م.

إكمال المعلم بفوائد مسلم. القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي. تحقيق: د. يَحْيَى إِسْمَاعِيل، ط1، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ - 1998م.

إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي. تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، ط1، د.م: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1422هـ - 2001م.

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط1، القاهرة: دار التراث، تونس: المكتبة العتيقة، 1379هـ - 1970م.

بحوث في تاريخ السنة المشرفة. العمري، أكرم، ط4، بيروت: بساط ، د.ت.

البداية والنهاية. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: علي شيري، ط1، د.م: دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م.

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي. د.ط، القاهرة: دار الكاتب العربي، 1967م.

البلدان. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني. تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط، د.م: دار الهداية، د.ت.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: د. بشار عواد، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ - 2003م.

التاريخ الكبير (المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة). أبي خثيمة، أبو بكر أحمد. تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، ط1، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1427هـ - 2006م.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ - 2002م.

تاريخ ابن معين -رواية الدوري-. ابن معين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون، البغدادي. تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، ط1، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1399هـ - 1979م.

تاريخ علماء الأندلس. ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي. عُني بنشره وصححه ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ - 1988م.

تسمية مشايخ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي وذكر المدلسين. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي. تحقيق: الشريف حاتم العوني، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد ، 1423هـ.

التسوية بين حدثنا وأخبرنا. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي. حققه وكتب حواشيه وضبط نصه: سمير بن أمين الزهيري، د.ط، الرياض: مطابع التقنية، 1410هـ.

التكملة لكتاب الصلة. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. تحقيق: عبد السلام الهراس، د.ط، لبنان: دار الفكر للطباعة، 1415هـ - 1995م.

تهذيب التهذيب. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. ط1، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف. تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ - 1980م.

جامع بيان العلم وفضله. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، السعودية: دار ابن الجوزي، 1414هـ - 1994م.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: د. محمود الطحان، د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

الجرح والتعديل. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي. ط1، حيدر آباد - الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1271هـ - 1952م.

الجهالة عند المحدثين. البرادعي، د. عبد الصمد بن محمد البرادعي. د.ط، الرياض: دار العاصمة، 1432هـ - 2011 م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. د.ط، مصر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي. حققه وعلق عليه: د. إحسان عباس، و د. محمد بن شريفة، و د. بشار عواد معروف، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2012م.

رحلة ابن جبير. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي. ط1، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

الرحلة في طلب الحديث. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: نور الدين عتر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ.

سنن البيهقي الكبرى. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، د.ط، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ.

سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني. تحقيق: محمد علي قاسم العمري، ط1، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 1403هـ - 1983م.

سير أعلام النبلاء. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون،

د.ط، بيروت: دار الرسالة، 1406هـ - 1986م.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. ط2، عمان: دار الفيحاء، 1407هـ.

الضعفاء والمتروكون. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي. تحقيق: د. عبد الرحيم محمد القشقري، المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، 1403هـ.

الضعفاء والمتروكون. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط1، حلب: دار الوعي، 1396هـ.

طبقات الشافعية الكبرى. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو، ط2، د.م: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

طبقات علماء الحديث.الصالحي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي. تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ - 1996م.

الطبقات الكبرى. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي. تحقيق: زياد محمد منصور، ط2، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1408هـ.

طرح التثريب في شرح التقريب. العراقي، أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي. وأكمله ابنه: أحمد أبو زرعة ولي الدين. الطبعة المصرية القديمة- وصوَّرتْها دُورٌ عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، د.ت.

العلل. ابن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر السعدي المديني. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1980م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

الكفاية في علم الرواية. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، د.ط، المدينة المنورة: المكتبة العلمية ، د.ت.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

لسان الميزان. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، د.م: دار البشائر الإسلامية، 2002 م.

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد. تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، ط3، بيروت: دار الفكر، 1404هـ.

المدخل إلى السنن الكبرى. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، د.ط، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د.ت.

المرحمة الغيثية بالترجمة الليثية. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. ط1، د.م: د.ن، 2004م.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري. ط1، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1423هـ.

مسند الحميدي. الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي

الأسدي. حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، ط1، دمشق – سوريا: دار السقا، 1996م.

المصنف. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ.

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس. القيسي، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان. تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، د.م: دار عمار – مؤسسة الرسالة، 1403هـ – 1983م.

معجم البلدان. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.

المعجم المفهرس (تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة). ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. تحقيق: محمد شكور المياديني، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1418هـ – 1998م.

مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث). ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. تحقيق: نور الدين عتر، د.ط، سوريا: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1406هـ – 1986م.

ملء العَيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة. ابن رشيد الفهري، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي. تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب ابن الخُوجة، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ – 1988م.

الملامح الجغرافية لدروب الحجيج. سيد عبد المجيد بكر. ط1، جدة: تهامة، 1401هـ – 1981م.

المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور. الصَّرِيْفيني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد العراقي. تحقيق: خالد حيدر، د.ط، د.م: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ.

الوجيز في ذكر المجاز والمجيز. السِّلَفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَة الأصبهاني. تحقيق: محمد خير البقاعي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1411هـ – 1991م.

* * *